٥٩٠٦
ج ١٢٣١

فضل علم السلف على الخلف

تأليف

الإمام الحافظ بقية السلف وقدوة الخلف زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين أبي حامد بن رجب البغدادي

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الجمعية الشرعية الاسلامية

(حقوق الطبع محفوظة لها)

يطلب من المكتبة المحمودية التجارية
لصاحبها ومديرها : محمود علي صبيح
الكائن مركزها العمومي بميدان الازهر الشريف بمصر
* المطبعة المحمودية التجارية بمصر *

مكتبة مسجد الجامع الكبير بالرياض
القسم العام
الرقم العام ٢٤٤٨١٥
الفصل ٣
التسلسل

مكتبة مسجد الجامع الكبير بالرياض
القسم العام
الرقم العام ٢٤٤٨١٥
الفصل ٣
التسلسل

فضل علم السلف

على الخلف

للإمام الأصولي الحافظ الفقيه أبي الفرج زين الدين
عبد الرحمن بن احمد الشهير بابن رجب البغدادي
الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الجمعية الشرعية الاسلامية

﴿حقوق الطبع محفوظة لها﴾

طبع
بالمطبعة المحمودية التجارية الكبرى
لصاحبها محمود علي صبيح بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المؤلف رحمه الله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

(أما بعد) فهذه كلمات مختصرة فى معنى العلم وانقسامه الى علم نافع(١) وعلم غير نافع . والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قد ذكر الله تعالى فى كتابه العلم تارة فى مقام المدح وهو العلم النافع . وتارة فى مقام الذم وهو العلم الذى لا ينفع . فأما الأول فمثل قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) وقوله (وقل رب زدنى علما) وقوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وما قص سبحانه من قصة آدم (٢) وتعليمه الاسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم (سبحانك لا علم

(١) المراد بالعلم النافع العلم المحفوظ بالعمل وبه يكلف العالم به من يكون أفضل العلم المخزون عن العمل والا فالعلم ممدوح فى نفسه على كل أحيانه بدليل قول الله سبحانه وأولوا العلم

(٢) حاصل القصة أن الله أخبر ملائكته أنه سيجعل خليفة فى الارض عن القرون الذين أبادهم لاستعدادهم ذلك فى نفوسهم لما علموا من سوء أعمال السابقين . وشأن العمى اتباع الشهوة والهوى . فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أى نحن لاستعدادنا الازلى

لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وما قصه سبحانه وتعالى من قصة موسى عليه السلام (١) وقوله للخضر (هل أتبعك على أن تعلمنى

اختفى فيها الكتيبة لطاعتك . فأراد المولى تعالى ذكره أن يريهم لم خطأ اعتراضهم فقال (إنى أعلم مالا تعلمون) وعلم آدم الاسماء) التى يخفى على الملائكة علمها وعرض مسمياتها عليهم فقال (أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) فيما اختلج فى خواطركم (فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) اعترفوا بالعجز لقصورهم عن معرفة الاسماء على أبلغ وجه فأمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يخبرهم بذلك إظهارا لشرف العلم وفضله فأخبرهم بأسماء تلك المسميات فذهبت الشبهة عنهم ورجعوا الى التسليم وتفويض أمر ذلك الى المولى جل وعلا . وبذلك تعلم أن لا شرف يلحق شرف العلم أو يضاهيه . وأعنى بالعلم العلم النافع الذى تظهر ثمرته بالمتصف به حقيقة لا ادعاء . وفقنا الله وإياك الى العلم والعمل به .

(١) وحاصلها على ما ورد فى الصحيحين وغيرهما أن نبى الله موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا لما علم من مقام النبوة والرسالة وأنه اختص بالوحى الى عبده وتبليغ الرسالة . فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم اليه سبحانه وأوحى الله اليه أن لى عبدا هو أعلم منك بجمع البحرين . وهما بحر فارس والروم على ما روى محاصر وقتادة وغيرهما ولعل المراد مكان يجرى فيه التقاؤهما . الا أنهما لا يلتقيان الا فى البحر المحيط فقصد موسى ومعه فتاه فلما بلغا مجمع البحرين نسيا الحوت الذى حمل فقداه أمارة وحدان مطلوب موسى عليه السلام الخ . ما نص الله فى كتابه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم ان الاختلاف فى ذلك ظاهرة فى أن العبد الذى أرشد اليه موسى عليه السلام كان أعلم منه . والذى دعى اليه الضرورة أنه الخضر . وبستفاد من انكار موسى عليه السلام على الخضر بعد ما شاهده على الصحو وبعد الاعتراض والعصيان عليه والقويلقى علم ذلك اليه ان الاشياء التى تخالف علم الانسان المنقول

ما علمت رشدا) (١) فهذا هو العلم النافع

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم . فهذا علم نافع فى نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به - قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) (٢) وقال (واتل عليهم

عن الشريعة يجب المبادرة الى انكارها والبحث عن مستندها ومصدرها ولا تسلم لفاعلها أيا كان ولو كان أعلم أهل زمانه وأنبغ عصره وأقرانه وأصلح وقته . وبهذا تعلم سقوط ما فى كلام بعض المتصوفة القائل بأن الشيخ المرتى يسلم له حاله أى لا يعترض عليه ولا يوجه نحوه سؤال اذا فعل فعلا أو قال قولا يخالف ظاهر الكتاب والسنة والعمل المنقول عن صاحب الشريعة المطهرة . ولو سلم ذلك لتعطلت الشريعة . وليعلل العمل بالمروى . ولتعمل كل نحلة رأيه وهواه . ولما كان هناك قانون كلى يرجع اليه . ولتغاير قوله تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

(١) فيما قص الله سبحانه وتعالى من نبأ موسى مع الخضر ارشاد للمتعلم لآدابه مع من يعلمه وفضل العلم حيث سماه الله رحمة ونسبه الى نفسه تفضلا وتشريفا

(٢) مثل الله جل ذكره حال الذين أوتوا التوراة والانجيل من اليهود وحفظوها ثم لم يعملوا بما فيها ولا انتفعوا بآياتها من التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه ونصرة دينه والاقتداء بأقواله وأفعاله باحمار يحمل على ظهره أسفارا أى كتبا من العلم لا ينتفع بها ولا يعقل ما فيها بل يمشى بها ولا يجنى منها الا ما يثير تعبه وظهره من الكد والتعب . ومثلهم من أوتى القرآن والسنة ولم يعمل بهما وشر مثلا مثلهم وتخصيص الحمار بالتشبيه به لانه أقل الحيوانات رغبة به لقلة الانتفاع به وفى الامثال العربية هو أخلى من جوف حمار قال الشاعر :

نبأ (١) الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه) وقال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون) (٢) الآية وقال (وأضله الله على علم) على تأويل من تأول الآية على علم عند من أضله الله

ذوامل أسفار ولا علم عندهم يجيدونه الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا بأوساقه أو راح ما فى الغرائر

والبيت من أشعار الحمار على ما نقل عن ابن خالويه

(١) أى واذكر يا محمد ﷺ لقومك خبره الذى له شأن وخطر قيل انه بلعام بن باعوراء على ما رواه ابن عباس وكان من العباد فى بنى اسرائيل وهو الانسب بالمقام . وقد أوتى علما بعض الكتب السماوية فوسوس اليه الشيطان فكفر بها ونبذها وراء ظهره ولا يخفى على المتأمل ما فى قوله تعالى (فاتبعه الشيطان)من المبالغة اذ جعل من انسلخ عن آيات الله إماما للشيطان والشيطان يتبعه وهو من الذم بمكان ونظير ذلك قول الشاعر

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بى الحال حتى صار ابليس من جندى

نعوذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع . وله قصة مشهورة ذكرها للمفسرون مع موسى عليه السلام وقومه وحصول الفتنة بسببه الماء والله أعلم بصحتها .

(٢) أخبر الله تعالى أنه خلف من بعد أولئك القوم الذين ذكرهم الله تعالى قبل خلف سوء فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهم اليهود ورثوا كتاب الله عليهم وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه يأخذون الرشوة فيه من عرض هذا

وأما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له . فقوله في السحر (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) وقوله (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم الى نافع والى غير نافع . والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع . وسؤال العلم النافع . ففي صحيح مسلم عن زيد ابن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول «اللهم اني أعوذ(١) بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها» . وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ . وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع . وفي بعضها أعوذ بك من هؤلاء الاربع . وخرج النسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول «اللهم اني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع» . وخرجه ابن ماجه ولفظه ان النبي ﷺ قال «سلوا الله علماً نافعاً وتعوذوا بالله من علم لا ينفع» . وخرجه الترمذي

(١) يقال عذت به أعوذ عوذة وعياذا لجأت اليه واعتصمت به ومن ذلك المعوذتان (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) لانهما عوذتا صاحبهما أي عصمتاه من كل سوء .

من حديث أبي هريرة ان النبي ﷺ كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً» . وخرج النسائي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يدعو «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علماً تنفعني به» . وخرج أبو نعيم من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول «اللهم انا نسألك ايماناً دائماً قريباً ايمان غير دائم وأسألك علماً نافعاً قريب علم غير نافع» . وخرج أبو داود من حديث بريدة عن النبي ﷺ قال «ان من البيان سحراً وان من العلم جهلا» (١) وان صعصعة بن صوحان فسر قوله «ان من العلم جهلا» أن يتكلف العالم الى علمه مالا يعلم فيجهله ذلك . ويفسر أيضا بأن العلم الذي يضر ولا ينفع جهل . لان الجهل به خير من العلم به . فاذا كان الجهل به خيراً منه فهو شر من الجهل . وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين أو في الدنيا .

(١) الحديث رواه أبو داود عن صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى عليه وآله وسلم يقول «ان من البيان سحراً وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيلا» قال أبو داود قال صعصعة بن صوحان صدق نبي الله ﷺ . أما قوله ان من البيان سحراً فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق . وأما قوله من العلم جهلا فيتكلف العالم الى علمه مالا يعلم فيجهله . وأما قوله من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس . وأما قوله من القول عيلا فمرضيك كلامك وحديثك قل مي ليس من شأنه ولا يريده . قال ابن الاثير يقال علت فلانا أعيل عيلا اذا لم تدر أي جهة تتبعها كأنه لم يهتد لمن يطلب كلامه فعرضه على من لا يريده . وبأتي الكلام على باقي الحديث فيما بعد ان شاء الله .

وقد روى عن النبي ﷺ تعيير بعض العلوم التي لاتنفع ففي مراسيل أبي داود عن زيد بن أسلم ، قال قيل يارسول الله ما أعلم فلانا قال ثم قالوا بأنساب الناس (١) قال علم لاينفع وجهالة لاتضر ، وخرجه أبو نعيم في كتاب رياض المتعلمين من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعا وفيه ، انهم قالوا أعلم الناس بأنساب العرب وأعلم الناس بالشعر وبما اختلفت فيه العرب وزاد في آخره العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل ، آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو

(١) هو علم يعرف منه أنساب الناس وهو كثير النفع عظيم الفائدة جليل القدر أشار العزيز الحكيم اليه في قوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وحث السنة على تعلمه وحضت عليه كما سيأتي في كلام المصنف بعيد وقد اعتنى العرب في ضبط أنسابهم الى أن كثر أهل الاسلام واختلطت أنسابهم بالاعجام فتعذر ضبطه بالاتمام فانتسب كل مجهول النسب الى بلده أو حرفته أو نحو ذلك ولا سيما في زماننا هذا فانك لاتجد من يعرف نسبه الا قليل ونفع هذا العلم مشهور طويل الذيل : وقد صنف فيه كتب كثيرة وأول من فتح هذا الباب وضبط علم الأنساب الامام النسابة هشام بن محمد السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ فانه صنف فيه ثمانية كتب وهي المنزلة ، والجمهرة ، والوجيز ، والفريد ، والملوك ، ثم التقى أثره جماعة : منهم أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ صاحب كتاب أنساب الاشراف وكتاب فتوح البلدان ، وعبد الملك بن هشام صاحب السيرة المتوفى سنة ٢١٣ ، وأبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والامام أبو سعيد عبد الكريم المروزي الحافظ المشهور بالسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ صاحب الأنساب وهذا امامهم فيما يوصل الى صلة الارحام كما سيأتي عن المصنف والحديث محمول على التوغل فيه أو مراد على قدر الحاجة جمعا بين الاحاديث .

فريضة عادلة ، وهذا الاسناد لايصح وبقية دلسه عن غير ثقة ، وآخر الحديث خرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا ، العلم ثلاثة ماسوى ذلك فهو فضل ، آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة ، وفي اسناده عبد الرحمن بن زياد الافريقي وفيه ضعف مشهور (١) .

وقد ورد الامر بأن يتعلم من الانساب ما توصل به الارحام من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، أخرجه الامام احمد والترمذي ، وخرجه حميد ابن زنجويه من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعا ، تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا ، وتعلموا من العربية ماتعرفون به كتاب الله ثم انتهوا ، وتعلموا من النجوم ماتهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ، وفي اسناد روايته ابن لهيعة ، وخرج أيضا من رواية نعيم بن أبي هند قال قال عمر تعلموا من النجوم ماتهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا وتعلموا من النسبة ما تصلون به أرحامكم وتعلموا ما يحل لكم من

(١) وأيضا في سنده عبد الرحمن بن رافع قاضي إفريقية وقد ضعفهما جماعة وقال إسحق بن راهويه سمعت يحيى بن سعيد يقول عبد الرحمن بن زياد ثقة وكذا في حق عبد الرحمن بن رافع : وقال بن معين انه صالح : ورواه الحاكم باسناد حسن والآية المحكمة هي أم الكتاب التي يقابلها المتشابه يعني الصريحة المعنى لايتطرقها الاحتمال والسنة القائمة هي الثابتة بحفظ سندها ومتنها ، والفريضة العادلة ما اتفق عليه المسلمون لان العمل به واجب ومتبع ومعتمد به ، وقوله ماخلاهن فهو فضل أي زائد لاضرورة تدعو اليه .